عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

١ «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ،

٢ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[٣١٤].

(٣١٤) رواه البخاريُّ (٢٤٤٩).

آيات

- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].
- ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].
- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

الراوي

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، تولَّى إمرةَ البحرين زمان عمر ﷺ، ثم اعتزل الإمارة، وعاش في المدينة إلى أن مات فيها سنةَ (٥٨هـ)[١].

خلاصة

على المرءِ أن يردَّ المظالم إلى أهلها، ويطلب العفوَ ممن أساءَ إليهم، قبل أن يكون القصاص بالحسنات والسيئات.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

فقـــه

١ يحضُّ النبيُّ ﷺ على المبادرة بالتوبة وردِّ المظالم إلى أهلها، فمن كان عنده **شيءٌ أخذه من أخيه المسلم بغير وجه حقٍّ**، سواءً كان ذلك في عرضه كالسَّبِّ والغيبة والنميمة ونحوها، أو غيرها بأن أكل مالَه أو غصبه حقَّه أو ضربه ونحو ذلك، فعليه أن يتحلل منه قبل يوم القيامة، حيث ينقطع التعامل بالأموال، فلا يمكن الردُّ حينها. **والتَّحَلُّل يكون بردِّ المظالم إلى أهلها واستسماح النَّاس وطلب الصفح منهم**.

٢ فإن لم يتحلل العبدُ في الدنيا من مظلمته، كان القصاص بالحسنات والسيئات؛ فيؤخذ من حسنات الظالم إن كانت عنده حسنات، وتُعطى للمظلوم، وإن لم تكن عنده حسناتٌ أُخذ من سيئات المظلوم فطُرحت على الظالم، لقوله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٣١٥].

(٣١٥) رواه مسلم (٢٥٨١).

١ (١) احذر أموالَ النَّاس ودماءهم وأعراضَهم؛ فإنَّ اللهَ تعالى يُعَجِّلُ عقوبة الظالم؛ قال ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(٣١٦).

٢ (١) إذا كان اللهُ سبحانه وهو الملك القيوم الذي بيده السماوات والأرض، حرَّم الظلم على نفسه وقال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»(٣١٧)، فكيف بالعبد الضعيف الذي لا يخرج عن أمرِ اللهِ تعالى.

٣ (١) بادِر بالتحلل من مظالم النَّاس قبل أن تندم ولات حينَ ندم.

٤ (١) يشترط في التوبة ردُّ المظالم إلى أهلها والتحلُّلُ منهم، فاحرص على أن تكون توبتُك مقبولةً.

٥ (١) احذر دعوةَ المظلوم؛ فإنَّها مجابةٌ تُفتح لها أبوابُ السماء، قال ﷺ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(٣١٨).

٦ (١) احذر الظلم؛ فقد قال ﷺ: «اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة»(٣١٩).

٧ (٢) احتفظ بحسناتك التي نِلتها بالتَّعب والانتصاب بين يدي اللهِ تعالى، أن يأخذها منك مظلومٌ ظَلَمْته أو تكلمت في عرضه.

٨ (٢) إذا كانت تخشى أن تكون مفلسًا في الدنيا، فإفلاس الآخرة أشقُّ وأشقى.

٩ (٢) تخيَّل أن تحمل أوزارًا لم تصنعها، وإنما وُضعت عليك جزاءً لكلمةٍ قلتَها في حقِّ أخيك.

١٠ (٢) سارِع في ردِّ المظالم قبل أن تُجبر على القصاص بالحسنات والسيئات، لا بالأموال والعُروض.

---

(٣١٦) رواه أبو داود (٤٩٠٢)، وابن ماجه (٤٢١١)، والترمذيُّ (٢٥١١).

(٣١٧) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣١٨) رواه البخاريُّ (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٣١٩) رواه مسلم (٢٥٧٨).

قال الشاعر:

وَفِي النَّـاسِ مَـن ظُلْـمُ الـوَرَى عَـادةٌ لـهُ ... وَيَنْـشُرُ أَعَـذارًا بهـا يَتَـأوَّلُ
جَـرِيءٌ عـلى أَكْلِ الحـرامِ ويدَّعِـي ... بـأنَّ لـه في حِـلِّ ذلـك مَحْمَـلُ
فَيَـا آكِلَ الْمَـالِ الحـرامِ أَبِـنْ لَنَـا ... بـأيِّ كتـابٍ حِـلُّ مَـا أَنْـتَ تَـأكُلُ؟
ألَمْ تَـدْرِ أَنَّ اللهَ يَـدْرِي بـما جَـرَى ... وبـينَ البَرايَـا في القِيامـةِ يَفْصِـلُ

وقال غيره:

لا تَظْلِمَـنَّ إذا مـا كُنْـتَ مُقْتَـدِرًا ... فالظُّلْـمُ آخِـرُه يَأْتِيـكَ بالنَّـدَمِ
نامَـتْ عُيُونُـكَ والمظلـومُ مُنْتَبِـهٌ ... يَدْعـو عَلَيْـكَ وَعَـيْنُ اللهِ لم تَنَـمِ